محاضرة

"كيف نتعامل مع الغرب"

لسعادة السفير/ مخلص جُبة–مساعد وزير الخارجية السابق

تقديم الأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن النقيب

يوم الثلاثاء الموافق ٢٠٠٣/٢/٢٥

بقاعة رواق المعرفة – مركز الدراسات المعرفية

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحـــاضرة

تقديم أ.د. عبد الرحمن النقيب

نلتقي معكم اليوم في اللقاء الثالث ضمن الموسم الثقافي لمركز الدراسات المعرفية بمحاضرة بعنوان **"كيف نتعامل مع الغرب"** بكل ما يحمله الغرب لنا من مشاعر، ومن عوامل الخير ومن عوامل الشر معاً.

ومحاضرنا اليوم هو سعادة السفير مخلص جبة، خير من يطرق أبواب مثل هذا الموضوع الشائك. فقد عمل مديراً للإدارة الثقافية والتعاون الفني بوزارة الخارجية المصرية، ثم سفيراً لمصر لدى جمهورية البرازيل ثم مساعد أول وزير الخارجية. مما يتيح له أن يتحدث حول هذا الموضوع جامعاً بين الخبرة، والمعرفة الأكاديمية، مما يتيح لنا لقاء جيداً بإذن الله.

وسعادة السفير مخلص جُبة له كثير من المشاركات في المؤتمرات والاجتماعات الدولية، نذكر منها "الدورة السادسة لمنظمة الإنكاد في بلجراد ١٩٨٤، اجتماعات مجموعة السبعة والسبعين للدول النامية ١٩٨٤". وهو حاصل على درجة الماجستير في العلوم الإفريقية، ودراسات عليا في القانون الدولي وكل ذلك يصب في أهمية الموضوع والمتحدث. والآن مع سعادة السفير فليتفضل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سعادة السفير/ مخلص جُبة

مقدمة:

أود أن أشكر مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة، على توجيهه الدعوة لي للتحدث في موضوع يستحوذ على اهتمامنا جميعاً، وهو **"كيف نتعامل مع الغرب"**. وأصارحكم القول، أني ترددت في البداية في قبول هذه الدعوة، لأني رأيت، ومازلت، أن للموضوع جوانب متعددة يتعذر حصرها. وهو موضوع يحتاج إلى باحثين كثيرين، يتولى كل منهم جانباً معيناً وفق تخصصه، ثم تجمع رؤاهم وتنسق بصورة توفي الموضوع حقه. وفضلاً عن ذلك فإن العالم تعرض خلال العقود الثلاثة الماضية لهزات غير مسبوقة، حيث أثرت على توجهاته وعلى تشكيلاته الدولية، وأثرت على قيم وقوانين دولية ظنناها من الثوابت التي تحكم العلاقات الدولية. وكان الأثر أكبر على منطقتنا العربية والإسلامية، ومازلنا نستشعر هزاته وتوابعه يوماً بعد يوم، حتى الآن. يضاف إلى هذا أن الأحداث تتابع حالياً بصورة قد لا تمكنني من ملاحقتها.

ولكن، بعد حديث ضافي مع الدكتور الفاضل عبد الرحمن النقيب، وبعد مراجعة مع النفس، رأيت أن أستجيب لدعوتكم الكريمة، على أساس أن كل فرد منا مطالب الآن أن يسهم بالجهد والفكر والرأي، لتدعيم هويتنا والتمسك بقيمنا، وللعمل على توقي ما نتعرض له من مخاطر وآثار. وسواء كان موقع أي منا هو المجتمع المدني، أو الرسمي، وسواء كان من يقطن منا البلاد العربية والإسلامية، أو يقطن خارجها، فالكل مطالب أن يسهم بما يستطيعه من رأى ونفوذ، وإن قل.

ومن عنوان المحاضرة، يتعلق الأمر بطرفين، عليهما أن يتعاملا معاً. أولهما الجانب العربي الإسلامي، وثانيهما الجانب الأوروبي الأمريكي. ومن المناسب كي يقوم تعاملهما على أساس واقعي، أن نشرع أولاً في عرض موجز لأوضاع كل جانب منهما، وللعلاقات التاريخية والسياسية والاقتصادية بينهما، التي تؤثر على كيفية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعاملهما وتعميق الفهم بينهما، فهما جانبان يشغلان حيزاً عريضاً من عالمنا المعاصر، ويحتاج كل منهما الآخر. ويمكن عن طريق الفهم المتبادل بينهما أن يحققا المنافع والسلام والوئام لشعوبهما بصورة أفضل.

وكما نعلم، يتكون الجانب العربي من اثنتين وعشرين دولة تقع بشكل متصل في قلب العالم، ويبلغ تعدادها حوالي ثلاثمائة مليون نسمة، وتشترك في خصائص كثيرة، أبرزها غلبة الدين الإسلامي على معظمها، وسيادة اللغة العربية فيها، وتداخل أصولها العرقية. وهي دول تنتمي إلى مجتمع العالم الثالث، بالمقاييس الدولية المعاصرة، وذلك على الرغم من أن بعضها تمتلك دخلاً فردياً يفوق مثله في بعض الدول الغربية (متوسط الدخل الفردي في قطر أو الإمارات يبلغ ما بين٢١ ألف و ٢٨ ألف دولار سنوياً، ويتفوق بذلك على متوسط دخل الفرد في عدة دول غربية).

وبالرغم من وجود بعض الاختلافات بين هذه الدول العربية، إلا أن الملاحظ أنها تشترك في الهوية الدينية والعربية، وتبدي بناءً على ذلك الكثير من العطف والتأييد لقضايا تواجهها، مثل القضية الفلسطينية أو قضايا تحرير بعض أجزائها في السابق (مثل تحرير الجزائر خلال فترة الخمسينيات). وهي تنتمي إلى منظمة إقليمية واحدة هي الجامعة العربية، وبينها اتفاقات عقدتها في المجالات العسكرية والاقتصادية وغيرها، وإن كانت هذه الاتفاقيات غير ذات فاعلية كبيرة.

وأما مسلمو العالم، فإنهم ينتشرون في كل أنحاء العالم، ويبلغ عددهم حوالي مليار ومئتي مليون نسمة بما فيهم العرب ويشكلون بذلك خمس سكان العالم تقريباً، وأكبر تجمعاتهم في آسيا، حيث تتشكل منهم دولاً بأجمعها مثل إندونيسيا، وباكستان، وبنجلاديش، وإيران، ودول الكومنولث الإسلامي، وتتكون منهم مجموعات كبيرة في الهند، والصين فيصل تعدادهم فيهما مئات الملايين من المسلمين. كما ينتشر المسلمون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في غير ذلك، في كافة بقاع الأرض، سواء في أوروبا حيث يصل عدد المسلمين فيها إلى نحو خمس عشرة مليون نسمة، وفي أمريكا الشمالية، إلى ست ملايين نسمة، وفي أمريكا الجنوبية وفي غيرها من الدول.

أما في الجانب الغربي، فهو يتألف من دول أوروبا الغربية، التي انضم إليها حالياً دول شرق أوروبا، ومن الولايات المتحدة. ويتميز هذا الجانب الغربي بوجود خلافات كبيرة بين دوله، وهذه الخلافات أعمق كثيراً مما هي عليه لدى العرب. ووقعت بينها حروب طاحنة طويلة. ولكنها استطاعت بعد الحرب العالمية الثانية أن تؤلف بينها وأن تنتظم في تجمعات عسكرية وسياسية واقتصادية، وتجمع كياناتها وتوائم أوضاعها مع ما وضعته من أحكام في هذه الأطر. وهي مجموعة من الدول التي خرجت من الحرب العالمية الثانية، تقودها الولايات المتحدة وتساندها إلى أن نهضت مرة أخرى وأصبحت ذات شأن وكيان.

وقد مرت العلاقات بين الجانبين العربي والغربي على مدى التاريخ بعوامل شد وجذب كثيرة، أثرت على طبيعتها، ومازالت آثارها تطل برأسها للآن. وترجع أسباب هذه الخلافات والتوترات في معظمها إلى تضارب وتشابك مناطق نفوذ بينهما، وإلى أخطاء تفسير معتقدات دينية يعتنقها كل جانب منهما، وكذا إلى مصالح اقتصادية.

ففي بداية العصر الإسلامي في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي، الذي بدأ بالدعوة التي بشر بها الرسول الكريم ﷺ، وكان النبي ﷺ يلتزم بالأمر الإلهي في أسلوب تنفيذها، وهو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. و لم يكن النبي ﷺ مكرهاً الناس على اتباع دعوته. ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(٢١)لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ(٢٢)﴾ [الغاشية: ٢١-٢٢]. ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٢٥٦)﴾ [البقرة: ٢٥٦]. ويقول المولى سبحانه: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]. ومن ذلك غيرها من الآيات الكثيرة، تتجلى الحقيقة أن أساس ديننا الحنيف، هو الدعوة له بالمجادلة الحسنة والكلمة الطيبة، التي تصل إلى القلب والعقل معاً، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقد اتبع الخلفاء الراشدون هذا النهج أيضاً عند دعوتهم سائر الأمصار لتفهم الدين الإسلامي. وخير مثال على ذلك، دعوة أهل مصر وهي الدولة الكبيرة ذات التاريخ العريق، والديانات المتعددة. فقد ذهب إليها فريق من العرب لا يتجاوز عددهم الأربعة آلاف نسمة، واستطاعوا أن يدخلوها متغلبين على الحكم الروماني الذي قاومهم فيها. و لم يحرزوا ذلك إلا بفضل سماحة هذا الدين وعدله وقيمه، ثم بمؤازرة أهل مصر من القبط الذين عانوا كثيراً من طغيان الرومان وجبروتهم. وقد اتخذ العرب هذا الأسلوب نفسه، في نشر الإسلام في الشمال الإفريقي حتى عبورهم البحر إلى الأندلس، التي مكثوا بها قرون طويلة خلال عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وكان من الممكن لهذا الدين أن يستمر في الأندلس، ويمتد إلى أراضي أخرى، لولا أن ابتعد حكامه عن صحيح أحكامه، وانغمسوا في متع الدنيا وزخرفها، فظهر عليهم الضعف والوهن واستطاع الفرنجة أن يطردوهم من بلادهم ويعيدوا المسيحية إلى تلك البلاد. وقد تكرر الأمر نفسه إبان الخلافة العثمانية التي نشرت نفوذها في معظم الأقطار العربية في الجزيرة العربية والشمال الإفريقي بل وفي كثير من الأقطار الأوروبية. وكانت في ذلك تتزيا بزي الإسلام وتعلن أنها خليفة المسلمين. واستمر لها هذا الوضع نحو ستة قرون. ولكن عندما انزلق حكامها أيضاً إلى متع الدنيا ومباهجها انفرط عقدهم، وشاع عنهم وصف الرجل المريض في القرن التاسع عشر، إلى أن زالت دولتهم رسمياً عام ١٩٢٤. ومن يزر قصر دولما بهجت أو مجموعة قصور توب كابي في اسطنبول يدرك ذلك.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعقب قيام كل دولة من الدولتين الإسلاميتين السابق ذكرهما، قامت حروب ونزاعات بينهما وبين الغرب. فقد قامت الحرب الصليبية في الفترة من ١٠٩٧ إلى ١٢٩٣، عندما جيشت أوروبا جيوشها غازية الشام للاستيلاء على بيت المقدس. وانتهت حملتها عندما انتصر العرب بقيادة صلاح الدين الأيوبي على الغزاة. وقامت الدول الغربية في القرن التاسع عشر باستلاب قطعا من الإمبراطورية العثمانية، قطعة وراء أخرى، واستعمرتها أو احتلتها، فاحتلت فرنسا الجانب الأكبر من الشمال الإفريقي. واحتلت إيطاليا ليبيا عام ١٩١١ واستعمرتها، واحتلت انجلترا مصر (١٨٨٢) وفلسطين والعراق ونشرت نفوذها في الخليج العربي.

وخلال تلك الحقبة من استعمار عثماني تزيا بزى إسلامي و لم يتزين بجوهره. تلاه استعمار غربي للعالم العربي، ولمعظم الدول الأخرى التي كان الإسلام قد انتشر فيها بوسائل عدة، في أسيا وفي أفريقيا، خلال ذلك شهد العالم تطورات عميقة، مازالت آثارها باقية للآن، تعطى انعكاساتها على العلاقات بين العرب والمسلمين، وبين الغرب. وأهم هذه الشواهد ما يلي:

١. استنزفت أوروبا خيرات هذه الأقاليم، وعملت على إضعافها وتأخرها، وشكلت إنتاجها الزراعي والتعديني، ونظم تعليمها وثقافتها، بأسلوب يوائم متطلباتها وتقدمها هي. واستخدمت ما كانت تجلبه من خيرات هذه الأقاليم، في بناء نهضتها العلمية والصناعية. وكانت أوروبا قد توصلت إلى اكتشاف الطاقات المتولدة من البخار والفحم، واستثمرت ذلك في خطواتها اللاحقة في اكتشاف البترول والطاقة النووية، وتقدمت في كافة العلوم الحديثة الأخرى التي نشاهدها اليوم في ثورة الاتصالات والإلكترونيات وغيرها. وبينما بقيت المستعمرات على حالها، وفقدت بذلك نحو خمسة قرون من عمر الزمان، هي سبب الفجوة الاقتصادية والعسكرية بين الجانبين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢. وخلال تلك الحقبة، شهدت أوروبا صراعات عسكرية وعقائدية عنيفة أسفرت عن تغييرها لنظم الحكم فيها وأسسه، حيث تحولت من نظم إقطاعية تحكمها عائلات وإقطاعيات، إلى نظم تقوم على حكم الشعب بنفسه ولصالحه. وهي النظم التي تقوم عليها الديمقراطية الحديثة.

وظهرت في القرن التاسع عشر دعوى تقلص من نفوذ الكنيسة وسلطانها الذي كان يحتكر الدين المسيحي لصالح الكنيسة ورجالها. وقد قاد هذه الحملة مارتن لوثر وكالفن وغيرهما من ألمانيا. ونشروا مذهب البروتستنتية (يعني الاعتراض Protest) الذي امتد إلى انجلترا وبلاد الشمال الأوروبي، وانتقل منها إلى أمريكا.

٣. وخلال هذه الفترة أيضاً تم اكتشاف أمريكا، وكان ذلك في القرن الخامس عشر على يد الرحالة البرتغالي كريستوفر كولومبس، وتوافد عليها المهاجرون الأوروبيون، والمغامرون، والهاربون من الاضطهاد والباحثون عن الثراء والحرية والعظمة. ولم يكن تحقيق حلمهم هيناً، نالوه بصراعات عدة على أصعدة كثيرة. فقد واجهوا صراع الطبيعة من عبور للبحر إلى دخول أراض ذات طبيعة مختلفة وقفار بكر لم يهذبها البشر واجتيازها. وواجهوا سكانها الأصليين من الهنود الحمر، الذين لم يرحبوا بالقادمين البيض الجدد، المغتصبين لأراضيهم ونفوذهم. كما واجهوا المستعمر الإنجليزي والإسباني والفرنسي وغيرهم من دول العالم القديم التي كانت تراودها أطماع السيطرة على تلك القارة الجديدة، كما واجهوا مشاكل الزراعة والصناعة التي تختلف أساليبها عما ألفوه من قبل ولجأوا لتحقيق ذلك لاستجلاب الملايين من العبيد من أفريقيا. وأخيراً واجهوا التفكك والتعصب الذي ساد بين ولايات الشمال وولايات الجنوب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد خاضوا حروباً وصراعات عنيفة، للتغلب على كل تلك المشاكل، إلى أن استقر الأمر لهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، واتفقوا فيما بينهم على مجموعة من المبادئ والقيم والمواثيق التي تحقق لهم آمالهم، والتي أساسها الحرية والديمقراطية وتوزيع السلطات بين هيئاتهم بصورة لا تحتكر إحداها السلطة بمفردها، بل يراقب الكونجرس الحكومة ويشرع لها، ويتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية، وتتولى المحكمة العليا سلطاتها القضائية المطلقة.

وقد حرصت أمريكا في بداية القرن التاسع عشرعلى النأي بنفسها عن مشاكل العالم القديم، وحصرت جهدها في الجزء الغربي من العالم (Western Hemisphere)، بناءً على مبدأ مونرو الذي أعلنه عام ١٨٢٣. وكان يقضي بألا تزج أمريكا بنفسها في مشاكل العالم القديم، ولا تسمح له بأن يتدخل في شئونها. وقد استمرت في تطبيق هذا المبدأ لمدة تقرب من القرن، إلا أن أوروبا استنجدت بها لتؤازرها خلال الحرب العالمية الأولى، التي اشتركت فيها عام ١٩١٧، وتكرر الأمر نفسه خلال الحرب العالمية الثانية التي اشتركت فيها عام ١٩٤١.

وخلال ذلك القرن، استطاعت أمريكا أن تبني نفسها بدرجة لا تدانيها قوة أخرى على الأرض، سواء من الناحية العسكرية أو الاقتصادية أو العلمية أو التنظيمية. وقد استفادت في ذلك بقوة الدفع التي اكتسبتها خلال صراعاتها السابقة. واستفادت بثراء أرضها وكثرة خيراتها. كما استفادت بوقوعها خارج منطقة الحروب والصراعات بين الدول الأخرى. واستفادت أيضاً من الحماية التي تؤهلها لها المحيطات البحرية التي تحيطها وتعزلها عن باقي الدول.

وبانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية على دول المحور، كانت الصورة الدولية على الوجه التالي، وهي الصورة التي مازلنا نعيش في إطارها حالياً:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. أيقنت الولايات المتحدة أن عزلتها الدولية لن تستمر، وأدركت أن حدودها ونفوذها الدولي لا يتوقف عند ساحلها الشرقي أو ساحلها الغربي، وإنما هي حدود تعبر بها إلى الخارج قدر استطاعتها، بدأتها في ذلك الوقت باليابان غرباً، وبسور برلين شرقاً، وسعت ليمتد جنوباً فيما بعد السويس، الذي كان أيزنهاور عام ١٩٥٧ يذكر أن به فراغاً يتعين سده.

٢. استطاعت الولايات المتحدة أن تخرج من الحرب محتفظة بكامل قوتها العسكرية والاقتصادية. فكان إنتاجها يشكل ٤٠% من الإنتاج العالمي، وكانت عملتها هي الأساس والغطاء النقدي لعملات العالم. هذا في الوقت الذي كانت أوروبا تضمد جراحها، وتواجه حركات تحررية تنشد الخروج من نطاق هيمنتها. ولذا كانت أوروبا تتطلع إلى حماية أمريكا لها، ومساعدتها مادياً واقتصادياً، وكانت تلك الأخيرة ترى أنها الوريث الطبيعي للنفوذ الأوروبي في العالم.

٣. وقبل أن تنتهي الحرب ساهمت الولايات المتحدة بالتعاون مع الدول المتحالفة وقتئذ، وهي بريطانيا والاتحاد السوفيتي والصين وانضمت لهم فرنسا فيما بعد، ساهمت في إنشاء منظمة الأمم المتحدة. حيث اجتمع زعماء هذه الدول في موسكو عام ١٩٤٣ واتفقوا على إنشاء هذه المنظمة الدولية واتفقوا على ميثاقها الذي يهدف إلى وضع تنظيم للعلاقات بين دول العالم في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويسعى لتحقيق الأمن والسلم الدوليين، وإلى إقرار المبادئ الخاصة بسيادة الدول واستقلالها. وقد عكس الميثاق الوضع الدولي المعاصر حينئذ، من حيث غلبة إرادة المنتصر، ومنح امتيازات خاصة للدول المتحالفة، كما هو واضح في حق الفيتو في مجلس الأمن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسعت الولايات المتحدة إلى تنظيم العلاقات الاقتصادية بين الدول، بأن ساهمت في مؤتمر عقد في بريتون وودز Bertton Woods بالاتفاق على إنشاء صندوق النقد الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير. وكان لها فيهما الصوت الأعلى بحكم وزنها التصويتي فيهما (Weighted Vote) وسعت مؤخراً للاتفاق على إنشاء منظمة التجارة العالمية، التي خرجت لحيز التنفيذ عام ١٩٩٥، والتي تعكس فكر وفلسفة أمريكا في حرية التجارة، وفتح الأسواق العالمية، وفي الحفاظ على أسرار التقدم العلمي والفني (TRIPS) وبذلك استقر لها عقب الحرب العالمية الثانية تنظيماً دولياً مواتياً، تستطيع بواسطته أن تستثمر تفوقها وقدراتها.

وحرصت على أن تشكل من أوروبا ومن قيادتها تنظيمات عسكرية وسياسية، هي حلف الناتو، استطاعت به أن تحاصر المعسكر الشيوعي المتمثل في حلف وارسو، وأن تلزمه حدوده، إلى أن تفكك وانفرط عقده في نهاية الثمانينيات كما سيرد لاحقاً.

٤. ولم تكتف الولايات المتحدة بذلك، بل عملت على أن تنشر مفاهيمها ورؤاها وثقافتها على العالم. واستخدمت لذلك البعثات والمبعوثين، وإنشاء الجامعات مثل الجامعة الأمريكية بالقاهرة وبيروت، وإنشاء المكتبات وإرسال المبشرين وغير ذلك من الوسائل التي تقنع بها العالم بحضارتها وتقدمها. وكان للسينما وللتليفزيون وغيرهما من وسائل الإعلام دور كبير في التعريف بحضارتها وبواقعها. وقد نجحت كثيراً في هذا المضمار، حيث استطاعت أن تزيح عن طريقها اللغة الفرنسية التي كانت سائدة من قبل، وأصبحت الإنجليزية هي وسيلة التخاطب الرئيسة في العالم. كما استطاعت أن تفرض أسلوب حياتها ومعيشتها على قطاعات كثيرة من العالم (مثل مشروباتها ومأكولاتها وملابسها وعاداتها). واستطاعت فوق ذلك أن تفرض مبادئها وقيمها التي تؤمن بها على كثير من دول العالم. ومن ذلك استقلالية الفرد وتخلصه من مبادئ وقيم كانت سائدة في المجتمعات من قبل. وقد لوحظ هذا الأمر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خلال المؤتمرات الدولية للسكان التي عقدت ابتداء من عام ١٩٧٤ في بوخارست وانتهت في القاهرة عام ١٩٩٤ حيث كانت الدول الغربية تصر على اعتبار أن الفرد هو الخلية الأولى للمجتمع، بينما كنا نصر نحن دول الشرق على اعتبار أن الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع، وهو ما يعكس نظرة الجانبين إلى الارتباطات الدينية والعقائدية. وفرضت كذلك الفكر العملي البرجماتي الذي لا يعطي للعواطف قدراً كبيراً، إلا ما كان منها ما يحقق مصلحة ذاتية للفرد.

وقد أردت مما تقدم عرضه بإيجاز أن أعطي تصوراً للواقع الدولي الذي كانت الولايات المتحدة تتحرك من خلاله على الساحة الدولية، وساهمت كثيراً في تهيئته وإعداده حتى وقت انفرادها بالهيمنة والنفوذ على العالم منذ بداية التسعينيات.

أحداث جسيمة ذات أثر:

لقد وقعت خلال العقود الثلاثة الماضية عدة أحداث هامة، لها وقع رئيسي على العلاقات بين الجانبين العربي والإسلامي، والغرب بقيادة الولايات المتحدة، وبالتالي فإن لها أثراً على بحثنا عن كيفية التعامل بينهما.

١. حرب أكتوبر عام ١٩٧٣، وكانت من أثارها أمران رئيسيان. أولهما: أن العرب ليسوا جثة هامدة كما كان يردد المدعون وأن باستطاعتهم إن استعدوا وتضامنوا أن ينجزوا أمراً فاعلاً. والثاني: أن سلعة البترول لم تعد رخيصة يستمر تدفقها بسلاسة. بل ارتفع سعرها من (٣ دولارات إلى حوالي ٤٠ دولار) وفي انقطاعها ما يسبب شللاً في حركة النقل والصناعة ويؤثر على الإنتاج الزراعي وعلى كل مظاهر التقدم وأسبابه. وأيقنت أمريكا والغرب، أن من يتحكم في هذه السلعة، يمكنه أن يتحكم في اقتصاد وتقدم العالم. وكانت أمريكا هي المؤهل لأن تتحكم في إنتاج هذه السلعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي نقله إلى العالم. وكانت أوروبا الغربية واليابان اللتين تعتمدان على استيراده من الخارج كلية، هما من أحسا بوقع توقفه بصورة أكبر.

ونتج عن ذلك أيضاً زيادة ضخمة لعائدات البترول، تركزت في أيدي نظم وعائلات عربية محدودة، ورأت أمريكا والغرب ضرورة السيطرة على هذه الأموال، واستنفادها بوسائل تتفق ومصالحها.

٢. ثاني الأحداث المهمة، هي حرب أفغانستان الأهلية اسماً والدولية فعلياً، وقد استمرت هذه الحرب طوال عقد الثمانينيات واستطاعت أمريكا أن تعبئ مشاعر إسلامية من دول إسلامية وأن تؤججها وتوجهها لمواجهة عدو شيوعي كافر في أفغانستان. واستغلت تدفق متطوعين من دول عربية قدر عددهم هناك بأربعين ألف متطوع ليشتركوا في الحرب وليندمجوا مع القبائل الأفغانية. وكانت أمريكا تقف وراء هؤلاء وتغدق عليهم السلاح والتدريب والتخطيط والتوجيه إلى أن استطاعوا أن يتفوقوا على الحكم الشيوعي بأفغانستان في بداية عقد التسعينيات. وقد زرت كابول في يونيه ١٩٩٢ خلال عودة المجاهدين من الجبال إلى العاصمة، ناقلاً رسالة من مصر إليهم بأن تتحد فصائلهم ويتوجهوا لإعادة تعمير بلدهم ولاحظت عندئذ أن هؤلاء المجاهدين يملكون من السلاح ما يفوق طاقتهم ولكن بطونهم خاوية وأثمالهم بالية ومدنهم خربة.

وعقب هذه الحرب، تلفت المتطوعون العرب حولهم، باحثين عن دور لهم، أو محاولين العودة إلى بلادهم، أو ظانين أن اليد الأمريكية ستواصل مؤازرتهم، لكن أحلامهم تبخرت، ولم يجدوا إلا الضياع، فتحول نظرهم وجهدهم إلى عمليات تخريبية قاموا بها في مصر والجزائر والسعودية، وتوجه بعضهم إلى بعض المنشآت الأمريكية، واستثمروا في ذلك ما لديهم من مال وسلاح وتدريب، حصلوا عليه خلال حرب أفغانستان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣. أما ثالث هذه الأحداث، فهو انهيار الاتحاد السوفيتي السابق عام ١٩٨٩ وتفككه بصورة لم يكن يتوقعها الكثيرون، وبانهياره فقد العالم العربي سنداً كان يدعمه عسكرياً ومعنوياً واقتصادياً، وأصبحت الولايات المتحدة هي القوة العظمى الوحيدة في العالم، ومنحها ذلك شعوراً بالتفوق، وإحساسًا بقدرتها على إفراغ أي قوة أخرى من مضمونها.

وقد كان لهذا الحدث جانب سلبي على أمريكا، وهو حرمانها من منافس قوي يناطحها وينافسها وهو ما قد يدفعها للتكاسل والاسترخاء. ولذا تلفتت باحثة عن منافس آخر يحفظ لها قوتها ويحفزها على التقدم.

٤. أما رابع تلك الأحداث، فهو توحيد شطري ألمانيا في نوفمبر ١٩٨٩ بهدم سور برلين، ثم إعلان إعادة توحيد شطري ألمانيا في الثالث من أكتوبر ١٩٩٠. وقد يبدو ذلك أمراً بعيداً عن موضوعنا، ولكني أراه جزءاً منه ويؤثر فيه، حيث أنه بقيام تلك القوة في وسط أوروبا، ما يؤثر على موازين القوى الدولية وما يؤثر بالتالي على العلاقات العربية الغربية. وقد باركت الولايات المتحدة ظاهرياً هذه الخطوة الألمانية، وعبر الرئيس السابق بوش الأب عن ذلك بقوله أن زعماء ألمانيا هم شركاء في القيادة (Partners in leadership). وعملت على دفعها لتنهض بدور أكبر على الساحة الدولية. ولكنها في واقع الأمر رأت في ذلك أنها تكون منافساً لها في المستقبل عليها أن تحذر منه وتعد له عدتها. ومن ذلك إحكام سيطرتها على منابع البترول والطاقة التي تمد هذه القوة الصاعدة بأسباب التقدم. ومن جانبها، رأت ألمانيا أن إعادة وحدتها، تساعد في تدعيم توحيد أوربا وتقويتها وقد عبر عن ذلك هيلموت كول مستشار ألمانيا وقتئذ بقوله: أن الوحدة الألمانية هي نواة للوحدة الأوروبية a catalyst for Europe (Foreign affairs, spring 1992, p.114).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥. وتأتي خامس هذه الأحداث الهامة، عندما انزلق صدام حسين في عمل هوجائي في أول أغسطس ١٩٩٠ بشن عدوانه على الكويت بقصد ابتلاعها وضمها لأراضيه وقد دخل بذلك حقل ألغام، ولم يستطع أن يخرج منه للآن. وكان ظنه أنه بهذا يستطيع التحكم في ثلث الاحتياطي البترولي العالمي ويهدد الثلث الآخر المجاور له في السعودية والإمارات. وتوهم بذلك أن مساعدات الغرب له خلال حربه مع إيران خلال الثمانينات ستستمر أو على الأقل ستحيد. وما درى أن الغرب كان يساعده من قبل ليستنزف من خلاله أموال البترول التي تضخمت، وأنه اتخذه لعبة يحقق بها مصالحه في تفتيت التقارب العربي الإسلامي. وقد عبأت الولايات المتحدة قوى أجنبية وعربية ضد صدام، وشنت حرب عاصفة الصحراء التي أرغمته بها على التقوقع والتقزم وحددت حركته داخل دولته في منطقة واحدة من ثلاثة. وأصبحت تتحكم في بتروله من حيث إنتاجه وتوزيع دخله وإنفاقه. وكان لهذه الحرب آثار بعيدة المدى على المنطقة، مازالت تعانيها للآن، أهمها تثبيت أقدام أمريكا في الخليج بصورة تتم برضاء وطلب من حكامه، وتدعيماً لفكرة الحماية التي تسبغها على دولها وعلى نظم الحكم فيها، وترديداً لرأيها بأن الخطر الأكبر الذي تواجهه دولها هو القادم من العراق أو من إيران. وقد استمعت إلى هذا الرأي من عدة محاضرين غربيين في دول الخليج كانوا يرددونه على أسماعهم، ولم أسمع أياً منهم يقول أن هناك خطراً صهيونياً ينتشر في المنطقة. وكان من آثارها أيضاً، زيادة الفرقة بين دول المنطقة وزرع الكراهية والتربص بين حكامها.

النظام الدولي الجديد:

وفي أعقاب هذه الأحداث الجسيمة، وفي إطار هذا المناخ كله، خرج الرئيس السابق بوش الأب عام ١٩٩١، بتصريح صغير، ولكنه عميق الأثر. فقد أعلن أن حرب الخليج لا تتعلق فقط بأمر دولة صغيرة وإنما هي فكرة أكبر من ذلك، إنها نظام دولي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جديد New Word Order وهو ما ترجم بعدئذ إلى العولمة Globalization. وهي فكرة تعتمد إلى أن العالم أصبح قرية صغيرة يتفاعل سكانها سوياً وعليهم أن يتعاونوا ليستمروا في البقاء في سلام وتقدم. والواقع أن تلك لم تكن فكرة جديدة، بل نادت بها دول العالم الثالث من قبل في الخمسينيات والستينيات. وكنا نقول أن العالم قارب كبير يستقله سكان الأرض جميعاً وأي خرق لهذا القارب يؤدي لإغراقه.

وشكلت الدول النامية فيما بينها تنظيمات سياسية، أهمها مجموعة عدم الانحياز، لتخفف بها من حدة الصراع بين القطبين وقتئذ، وتنأى بنفسها عن حلبته، وشكلت مجموعة الـ ٧٧ للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وحصلت بها على بعض التعهدات الدولية لمساعدتها ولزيادة التعاون بين الشمال والجنوب (Development Decade) ولكن صوت الدول النامية كان ضعيفاً فاتراً مفككاً، ولقى آذانًا صمًا من الغرب. بل كثيراً ما عمد الأخير إلى تمييع هذا الصوت وتفتيته، فذهبت تلك الجهود أدراج الرياح، وحلت محلها دعوة بوش للعولمة، التي تعني واقعياً، إعادة تشكيل العالم بصورة تمكن الولايات المتحدة من الهيمنة عليه، وأن يسود فيه السلام الأمريكي Peace Americana، على غرار السلام الروماني أو الإغريقي.

إنشاء إسرائيل:

وهو أمر يحتل موقعاً متميزاً في تحديد العلاقات العربية الإسلامية، الغربية ويؤثر بالتالي على كيفية التعامل بين الجانبين. وقد تحالفت قوى الشرق والغرب على زرع هذه الدولة في قلب الأمة العربية، رغم أنف العرب والمسلمين وزعموا أن فلسطين أرض بلا شعب، تعطى لشعب بلا أرض، وتغاضوا بذلك عن أن فلسطين يقطنها فلسطينيون عرب مسلمين ومسيحيين، وليسوا هنوداً حمراً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن المؤسف، أن إسرائيل تم إعداد إنشائها بواسطة المنظمات الصهيونية العالمية خلال فترة طويلة، قدرها البعض بوقت حملة نابليون على المنطقة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، واتخذ هذا الإعداد شكلاً تنظيمياً في مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ وتتابعت خطواته، عندما حصل اليهود على وعد بلفور عام ١٩١٧ من بريطانيا، وإعداد عسكري له، قامت به المنظمات الهاجاناه وارجون زفاي وغيرها، الذين تدربوا على الحرب جنباً إلى جنب مع القوات البريطانية في الحرب العالمية الثانية من خلال الفيلق اليهودي. وكانت تلك هي الفرق التي اشتبكت في حرب ١٩٤٨ ضد القوات العربية. وقد تدفق المهاجرون اليهود إلى فلسطين من شرق وغرب أوربا، وحملوا معهم إليها حضارتهم المتقدمة التي تدربوا عليها في الدول التي قدموا منها. وكانوا في حياتهم في إسرائيل يمثلون رأس حربة للمنظمات الصهيونية العالمية، يرتبطون بها عضوياً ومادياً ومعنوياً.

ومعلوم أن الحركات الصهيونية، دأبت منذ إنشائها على أن تلتصق بمراكز القوى العالمية، لتحقيق أهدافها بواسطتها. وقد لوحظ ذلك خلال قوة فرنسا وقوة انجلترا، ثم نقلوا وجهتهم حالياً نحو أمريكا خلال صعودها. وهم يلجأون في تغلغلهم إلى وسائل معروفة عنهم، وهي تلمس مناطق الضعف الإنساني، واستخدام كل أساليب السيطرة، وأهمها الأساليب الدنيئة التي برعوا فيها مثل الرشوة وإفساد الذمم والتشهير وغيرها. وهو يوجهون نظرهم إلى مراكز المال والإعلام، ومنها يستطيعون التغلغل في مراكز النفوذ والسلطة. وهم يرفعون شعار أنهم شعب الله المختار الذي يعلو على سائر البشر، ولا تسري عليهم قوانينه وأعرافه. ولذا يبررون لأنفسهم أساليب القسوة والاغتيالات ويمارسونها بغير وازع داخلي. وهي أساليب استخدموها خلال إقامتهم لدولتهم في فلسطين، ومازالوا يمارسونها للآن، ويبررون للعالم أنهم هم المعتدى عليهم المظلومون. ويساعدهم على طمس الحقائق وليها، سيطرتهم على الإعلام، وتغلغلهم في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مراكز القوة والنفوذ. ومن أمثلة نهجهم هذا، ما ذكره زعيماً لحزب ديني، يضم اليهود الشرقيين، وهو عوفاديا يوسف، في موعظة دينية له في العاشر من إبريل ٢٠٠١، أنه لا يجوز التعامل مع العرب بتسامح أو رحمة، فهم أشرار وشياطين، وذكر الوزير الإسرائيلي نسيم دهان في الثالث والعشرين من سبتمبر ٢٠٠٢ في السياق نفسه أن المصلين في المسجد الأقصى هم ثعالب ارتفعوا درجة فأصبحوا أفاعي وعقارب، وبأساليبهم المعهودة هذه استطاعوا الحصول على انتصارات ودعم عالمي وأمريكي لا يستهان به، منها تبرئة اليهود من دم المسيح، وإلغاء قرار للأمم المتحدة أن الصهيونية حركة عنصرية، وقرار الكونجرس الأمريكي بنقل أمريكا سفارتها إلى القدس، ووقوف أمريكا بالمرصاد في مجلس الأمن لأي قرار لا توافق عليه إسرائيل. وتغاضي أمريكا عن أي تصرفات إجرامية إسرائيلية، مثل حادثة لافون عام ١٩٥٤، أو إغراقها باخرة التجسس الأمريكية ليبرتي عام ١٩٦٧، أو تملكها للسلاح النووي، أو ما تقوم به من مجازر في جنين ورام الله وغزة في فلسطين، وغير ذلك كثير.

يبقى السؤال المعلق بهذا الصدد، لماذا تسبغ أمريكا كل هذا التأييد والمعونات والحماية على إسرائيل؟ بل وتعتبرها الولاية الحادية والخمسين لها، وتحجب تأييدها عن الحق العربي. هل يرجع ذلك لسطوة الصهيونية عليها، ولقوة النفوذ الصهيوني المتغلغل في أوساط المال والإعلام والسلطة الأمريكية؟ أم أن ذلك يرجع إلى فشل العرب والمسلمين وتفككهم، في مخاطبة الغرب، وعجزهم عن شغل حيز في فكرهم، بما يتيح لليهود أن يشغلوا هذا الفراغ؟

إن الواقع الملموس أن السبب قد يرجع إلى كل ما ذكرناه. فمن الملاحظ أن أجهزة الإعلام، والكونجرس وغيرها، يتم تعبئتها بشكل منسق منظم، لمناصرة إسرائيل عندما تدعو الحاجة لذلك، فإذا طلبت إسرائيل أموالا أو سلاحا، أو مناصرة دولية،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالكل يردد مطالبها ويضغط لذلك، وتستمر حملتهم إلى أن تتحقق أغراضهم. وإسرائيل تستخدم في ذلك، المنظمات الصهيونية التي تنتشر فروعها في كل الولايات، وعلى رأسها منظمة الإيباك وبناي بريث وغيرهما. وتستخدم اليهود الستة ملايين يهودي الذين يعيشون في أمريكا وتعبئهم للتحرك في كل موقع يشغلونه.

وهي تعتمد على مفهومين رئيسيين تغسل بها الأذهان. أولهما أن إسرائيل في إنشائها وفي واقعها المعاصر، تلاقى نفس الظروف والأجواء التي لاقتها أمريكا في إنشائها وفي حياتها الحالية. فهي شعب من المهاجرين المجتهدين، الذين واجهوا مواطنين متخلفين، هم الهنود الحمر في أمريكا والعرب في فلسطين، وإسرائيل تطبق أسلوب حياة أمريكا الحالية نفسه، في الديمقراطية والحرية، وتدعي أن الدولتين تواجهان المخاطر نفسها، من إرهاب واعتداء عليها.

أما المفهوم الأخر، فهو مفهوم ديني يقوم على أساس أن التوراة هي أساس المسيحية ومرتكزها، وأن في إنشاء إسرائيل وتوجه اليهود إليها وتهويد فلسطين، هو تحقيقاً لمعتقد ديني بأن المسيح عليه السلام سيعود إليها، ويبقى بها فترة ألف عام يتحول اليهود فيها إلى المسيحية، ثم تقوم القيامة. وتلك هي أساس دعوة المسيحية الصهيونية، التي يقال أن لها عدة ملايين من الأنصار وأن منهم رؤساء سابقين لأمريكا مثل نيكسون وريجان وكارتر.

وفي مواجهة كل تلك الجهود، لم تقم جهود مماثلة في الجانب العربي أو الإسلامي، وإنما تظهر من بعض الدول العربية جهود متفرقة متقطعة، تقف موقف الدفاع، وتظهر في بعض المناسبات، ثم تخفت، وتفتقد إلى الترابط والتناسق، ولا تعرف كيف تعلي صوتها، أو تنشئ خيوط وصل مع المناصرين أو المحايدين.

ورغم أن الجهود الصهيونية، مكثفة متواصلة، إلا أن هناك جانباً لا بأس به من المجتمع الأمريكي لا يخضع لها أو يتفق معها، من رجال دين من البروتستانت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والكاثوليك والأرثوذكس. والعديد من الكنائس الإنجيلية التي تعتبر دعاوى اليهود تشويهاً للمسيحية الحقيقية وتضليلاً للمؤمنين. وظهرت كذلك أصوات سياسية تذكر أن هناك نوعًا من الخيانة لأمريكا ولكل من سمح لدولة أجنبية مثل إسرائيل أن تسيطر على السياسة الأمريكية.. ومن هؤلاء ديفيد ديوك المرشح السابق للرئاسة الأمريكية، ودنس كوشنتس النائب الديمقراطي عن ولاية أوهايو، والسناتور وليام فولبرايت، وجورج براون رئيس الأركان المشتركة السابق، وغيرهم كثيرون، مما يحسن رصدهم وإنشاء صلات معهم.

المد الإسلامي في الغرب:

ومع كل ما ذكرت من معوقات، فقد لوحظ خلال العقود القليلة الماضية، أن الإسلام ينتشر ويمتد في الغرب بصورة ملحوظة، فقد أصبح من يعتنقونه في أمريكا شهرياً يقدر بالآلاف، وأصبح الإسلام هو الدين الثاني في فرنسا ويبلغ حجم معتنقيه في ألمانيا عدة ملايين. ويلاحظ أن كثيراً ممن يعتنقونه، من المثقفين وذوي الفكر مثلما هو الحال بالنسبة روجيه جارودي الفرنسي ولمراد هوفمان الألماني، وغيرهما في الدول الغربية. وربما يرجع ذلك إلى المبادئ السمحة للإسلام التي ترتكز على العدل والحكمة والمنطق، والتي تخاطب العقل والوجدان معاً، والتي تخلو من التعصب وتدعو للمساواة، والتي تستند إلى مكارم الأخلاق والقيم النبيلة في كل الظروف والأوقات. كما أذكر بهذا الصدد، أثناء أدائي فريضة الحج منذ أعوام قليلة، أن كان ضمن مجموعتنا سفير إيطاليا في السعودية، وقد سألته عن سبب اعتناقه الإسلام، فأجاب أنه أثناء خدمته في وفد بلاده في نيويورك، كان المناظر له في الوفد المصري دبلوماسي صادقه، وهو السفير الدكتور محمد نعمان جلال وقد راقب سلوكياته وأخلاقه لفترة، واقتنع خلالها أن الدين الذي أصبغ على صاحبه هذه السلوكيات، لاشك أنه دين قويم، وقد صاحبت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا السفير لفترة في الرياض فيما بعد وأدركت أن اعتناقه للإسلام قد تغلغل إلى قلبه وفي تصرفاته.

وبطبيعة الحال وكما هو منتظر فمثل هذا الانتشار للإسلام في الغرب قد قوبل بالرفض والمناهضة من قبل متطرفين غربيين، ومن منظمات صهيونية. ورددوا القول أن في نقل الثقافة الإسلامية وتطبيقها في بعض المجتمعات الإسلامية في الغرب ما لا يتفق والثقافة الغربية المتحررة. وما دروا أنهم بذلك يناقضون أنفسهم، لأن في هجومهم هذا ما يتعارض مع ديمقراطيتهم ومع دعاواهم بحرية الفرد في معتقداته وفي تصرفاته مادام ذلك لا يؤثر على حرية ومعتقدات الآخرين. وسوف يستمر الإسلام في انتشاره بمشيئة الله رغم كل تلك المعوقات، والأزمات التي يتعرض لها. فقد لوحظ أن تماسك معتنقيه في البلقان لم ينفرط رغم المجازر التي لاقوها على أيدي الصرب وغيرهم. ولوحظ أن مسلمي دول الكومنولث الإسلامي قد ازدادوا التصاقاً به بعد خروجهم من نير الشيوعية، ورغم ما يلاقوه حالياً في الشيشان. وقد لوحظ أنه قد أثار اهتمام كثير من الغربيين به بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١.

صراع الحضارات:

وقد تزامن مع هذا المد الإسلامي أن تبوأت الولايات المتحدة لمكانتها المنفردة في العالم، وزوال الاتحاد السوفيتي كمنافس لها، وقد تلفت باحثون ومفكرون فيها باحثين عن منافس عالمي قوى جديد لها، لكي يحفظ لها حيويتها وقوة اندفاعها. فظهرت أصوات تشير إلى الإسلام، كمنافس جديد تنبغي منازلته. وكان من هؤلاء ريتشارد نيكسون الرئيس الأمريكي الأسبق، الذي ذكر في كتابه **"الفرصة السانحة"** في بداية التسعينيات، أن الإسلام هو المنافس المنتظر للغرب.

وظهر مقال شهير لصمويل هنتنجتون في مجلة "الشؤون الخارجية" *Foreign Affairs* صيف عام ١٩٩٣، ذكر فيه أن الصراع القادم الذي يحل محل صراع الدول،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو صراع الحضارات. وأشار إلى أن الحضارات المعاصرة في رأيه هي سبع أو ثماني حضارات، هي الحضارات الغربية، والكونفوشيوسية، واليابانية، والإسلامية، والهندوكية، والسلافيكية الأرثوذكسية، واللاتينية الأمريكية، وربما الأفريقية. وعدَّ من صلابة وعمق الحضارة الإسلامية ما يوحي أنها الخطر المرتقب على الحضارة الغربية. وظهرت كتابات تسير في الاتجاه نفسه، منها كتاب نهاية التاريخ، والإنسان الأخير لفرانسيس فوكوياما الذي أشار إلى التحدي الإسلامي، ولو أنه لم يذهب إلى حد وجود صراع غربي مع الإسلام، ولكنه رأى ضرورة المواءمة بين الإسلام كدين وبين المفاهيم الليبرالية الديمقراطية.

العدوان على برجي نيويورك، وعلى البنتاجون:

وفي خضم كل تلك التطورات العالمية، والأفكار التي تموج، وقع عدوان الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ على برجي نيويورك وعلى البنتاجون في واشنطون، ومحاولة العدوان على البيت الأبيض. وكان لهذا العدوان وقع الصاعقة على أمريكا، وعلى مسئوليها وعلى شعبها، وكان له ترديات عميقة على العالم. وقد أدانته حكومات العالم كلها وظهرت التحليلات والمقالات والآراء عن هذا الحادث وعن مرتكبيه. وكانت أكثر الاتهامات وأوقعها هي ما وجه إلى المتطرفين العرب.

وقد شبه الكثيرون ما حدث، بعدوان اليابان على الأسطول الأمريكي في بيرل هاربر عام ١٩٤١، الذي كان سبب دخول أمريكا الحرب مع الحلفاء الغربيين. وكان أيضاً سبباً لتلك المعاملة القاسية التي عاملت بها أمريكا اليابان قبيل نهاية الحرب عام ١٩٤٥ وألقت عليها قنبلتين نوويتين أوديتا بحياة ٢٠٠ ألف شخص، على الرغم من أنه كان معلوماً أن اليابان قد سقطت وعلى وشك الاستسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد يكون في هذا التشبيه جانب من الحقيقة، فكلتا الحادثتين كانتا مفاجأة غير متوقعة لأمريكا، ولاسيما أخذها على غرة وقت اطمئنانها، وأنهما أخذتا من هيبة أمريكا وكبريائها. ولكن هناك اختلاف بينهما يكمن في أن بيرل هاربر أصابت أسطولاً حربياً، بينما ضربت أحداث سبتمبر قطاعات مدنية أودت بحياة مدنيين. ولم يشعر الأمريكي العادي بوقائع بيرل هاربر إلا بعدها ومن خلال المذياع والصحف، بينما شاهد العالم ما يجري في نيويورك مباشرة من خلال التليفزيون. وأن بيرل هاربر قامت بها دولة محددة المعالم، أما سبتمبر فقد وقعت بعناصر غير محددة، هلامية الشكل قد تكون منتشرة على ساحة العالم.

وقد بادرت الولايات المتحدة إلى الإعلان على لسان رئيسها. أن الإرهاب هو الخطر الأول الداهم الذي يواجه العالم. وكأن هذا أمراً جديداً لم تعانى منه دول أخرى مثل مصر والجزائر وغيرها. وذكر أن أمريكا ستتصدى لهذا الخطر وتتعقبه أينما كان، وأن من لا يتعاون معها في هذا الصدد، فهو معاد لها. وبالفعل طبقت مفهومها هذا على أفغانستان عندما شنت هجوماً عليها، اقتلعت به نظام طالبان، وأحلت محله نظامًا مواتيًا لها على رأسه حامد قرضاي.

وقد انتهز الكثير من الكتاب، ومن المنظمات هذه الفرصة، لإحياء حقدهم على الإسلام، واستغلوا في ذلك ما كان سائداً من فكر عن صراع الحضارات، ليصوبوا سهامهم إلى ديننا الحنيف، وكانت للمنظمات الصهيونية ولإسرائيل الفرصة المواتية ليبثوا سمومهم، وليظهروا أنهم الحمل الوديع المعتدى عليه من كل العرب، وبدلاً من أن يهاجموا ويدينوا أعمال فئة متطرفة من المسلمين الذين ساهموا في تشكيلهم وتكوينهم، عمدوا إلى خلط الأوراق، ولي الحقائق، وهاجموا الدين الإسلامي نفسه ونبينا الكريم، فنشروا المقالات والمواد الإعلامية المكثفة، التي تصف الدين بما ليس فيه، من عنف وسيطرة وإكراه للآخرين، وصوروا الجهاد الإسلامي على أنه عدوان وافتئات على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقوق الآخرين، والدين أبعد ما يكون عن هذه الصورة. وتطاولوا على نبينا الكريم بأبشع التهم، وهو النبي ذو الرحمة الذي بعثه الله رحمة للعالمين، سواء منهم المؤمنين أو غير المؤمنين. وقد استغلوا في ذلك عاملين، أحدهما هو الحرية الدينية التي تسود الغرب وتسمح لمفكريه حرية مهاجمة الديانات وأنبيائها، بما في ذلك الديانة المسيحية نفسها. والآخر هو أن ديننا السمح، يأمرنا بتوقير واحترام كل الديانات السماوية الأخرى، وأن نعترف ونحترم كل من سبق نبينا الكريم من الرسل ء ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وبتأثير صدمة سبتمبر ٢٠٠١، ومن واقع المناخ الدولي المعاصر، من قوة مادية مفرطة من جانب، ومن ضعف وتفكك من جانب آخر، ظهرت الآراء والأبحاث التي تنادي بضرورة تغيير البيئة الفكرية التي يخرج منها هؤلاء المتطرفون والإرهابيون المعتدون. ومن تلك الآراء، ما ذكرته مجموعة بأمريكا أطلقت على نفسها مجموعة التسعة عشر، نشرت تقريراً، يقال أن الرئيس الأمريكي صدق عليه، وقد ورد به ضرورة تغيير المناهج التعليمية التي تحض، في رأيها "على كراهية اليهود والعالم الغربي، وأنها مناهج يرونها تدعو للقيام بأفعال إرهابية وتحض على مفهوم يدعى "الجهاد". وأضافوا أن هناك صعوبات عملية في مطالبة الحكومات العربية بتغيير القرآن، ولكن هناك العديد من المرجعيات الدينية التي يمكن أن تقوم بتفسير القرآن تفسيراً مختلفاً يساعد على تنفيذ المطالب الأمريكية.

إن مثل تلك الأفكار الموجهة ضد الدين الإسلامي قديمة، تراود كل من يرغب في فرض هيمنته على العرب، بأسلوبه الخاص. فقد سبق لنابليون أن دخل بخيله إلى ساحة الأزهر الشريف عند بدء حملته على مصر. ويحضرني في هذا الصدد، مطلب أبداه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجانب السوفيتي عند نفوذه بمصر، أنه من المناسب تدريس النظرية الشيوعية بالأزهر الشريف جنباً إلى جنب من العلوم الدينية.

وقد وسع الغرب من مناهضته الفكرية للواقع العربي، بأن اتهمه وذكر بتخلفه في ساحات عديدة أبرزها تخلفه الاقتصادي، وتخلفه الديمقراطي، وتخلفه في مجال حقوق المرأة، وحقوق الإنسان، وشئون البيئة. وقد استشهدوا في ذلك بتقارير دولية، أبرزها ما صدر عن الأمم المتحدة (UNDP)، من تقرير عن التنمية البشرية في العالم لعام ٢٠٠٢، وأشار فيه إلى ما تقدم.

وقد استند كولن باول إلى هذا التقرير، في خطاب له ألقاه في ٢١ ديسمبر الماضي٢٠٠٢ في واشنطن مؤسسة التراث Heritage Foundation، ضمنه مبادرة أمريكية لتعديل الأوضاع بمنطقة الشرق الأوسط، تعتمد على ثلاثة محاور في مجالات الاقتصاد والعمالة والمشاركة السياسية (رفع صوت المرأة). وذكر أن الولايات المتحدة ستخصص لهذا الغرض ٢٩ مليون دولار، وستطلب من الكونجرس زيادة المبلغ في المستقبل.

ولعل الولايات المتحدة كانت واقعة تحت تأثير تجربتها مع اليابان، عندما أرادت أن تقضي على القيم والمعتقدات التي كانت سائدة فيه قبل الحرب العالمية الثانية، ونفذت فيه برنامجاً دعته New Deal، الذي نجحوا من خلاله في تغيير نظرة اليابانيين نحو تقديس الإمبراطور، والتخلي عن روح الفداء والتضحية بالنفس، وغيروا كثيرًا من سلوكياتهم. ولكن الأمر يختلف في وضعنا، باختلاف العقائد والانتشار الذي يتمتع به الإسلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوضع العربي:

وفي هذا السياق، لعلنا نستذكر سوياً الوضع العربي والإسلامي الحالي، الذي يمكنه أن يتعامل مع هذا الوضع الغربي بكل ما يحمله من قوى مادية، ومن مشاعر تجاهنا، فكما نلمس هو وضع يسوده الضعف العسكري والاقتصادي والإعلامي، والعلمي. ولم يستطع العرب ولا العالم الإسلامي، أن يستعيدوا قواهم التي سادت خلال نهضتهم في عصورهم الأولى. ولم يتمكن العرب أن يجمعوا صفوفهم في محاولاتهم للتوحد على الأصعدة السياسية أو التنظيمية فيما بينهم. وقد وئدت محاولات كثيرة لتجميع قواهم الاقتصادية والعسكرية. وبقيت في هذا الإطار منظمات إقليمية يجتمعون في إطارها أبرزها الجامعة العربية، ومجلس الوحدة الاقتصادية، وتجمعات ما بين دول متجانسة منها مثل مجلس التعاون الخليجي، أو اتحاد المغرب العربي. ولكنها تجمعات ذات أثر محدود، لا ترقى إلى المنتظر منها ولا إلى التحديات التي تواجهنا.

ومع ذلك، لا يمكن القول بأن نستسلم أو نحبط، ونترك الغرب ليعدل ما ورثناه من عقيدة ومن تراث ومن تاريخ، وليطوع كل هذا على هواه. بل يجب أن نتماسك ونتخذ مما نواجهه دافعاً لكي نستعيد حيويتنا وجوهر عقيدتنا وقيمنا، وأن نشعر الغرب أن لدينا حضارة ذات قيمة، تستطيع أن تحيا مع الحضارات الأخرى في تعايش واحترام متبادل. وأن قوامها هو التفاعل مع الآخرين بما يفيد البشرية ويرقى بها، وأن تاريخنا وموقعنا الجغرافي يحثان على التعامل بإيجابية مع الآخرين.

ما هو مطلوب في هذه المرحلة، هو النظر بجدية وواقعية إلى مواطن قوتنا واعتزازنا، ونعمل على تدعيمها، وأن ندرس مواطن ضعفنا، ونحاول علاجها، وأن نعرف كيف نتخاطب مع الغرب، وكيف نوصل صوتنا إليه، ولاشك أن ذلك طريق طويل، يحتاج إلى الصبر والاستمرار والالتزام بالهدف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسس تعاملنا مع الغرب:

لعل أول أسس تعاملنا مع الغرب، هو أن نثق بقيمنا وبعقيدتنا، وأن نستمد منها واقعاً يدفعنا للتعامل الصحيح مع الآخرين، وللتعارف، قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].." .

وثاني هذه الأسس، هو أن نوحد جهودنا، ونعتصم بالله ونستمد من ذلك العزم والمقدرة، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا...**﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وهو ما يعني أن نعتصم بتعاليم ديننا الصحيحة التي تدعو إلى العمل والجهد، ولا تدعو إلى العدوان والبغي.

وثالث هذه الأسس، هو أن نثق بقدراتنا وإمكانياتنا البشرية، وخير دليل على ذلك، هو ما نعرفه عن كثير من النوابغ العربية والإسلامية التي برزت في الساحات الدولية وأثبتت وجودها، مثل أحمد زويل، وفاروق الباز، ومجدي يعقوب، وذهني فراج وغيرهم في كافة المجالات.

ومن واقع تعاملي مع مختلف الجنسيات بحكم عملي، ازداد يقيني أننا لا نقل كفاءة عن غيرنا من الجنسيات، كل ما نحتاجه هو الثقة بالنفس وإتاحة الفرصة والمعرفة والاجتهاد والتنظيم.

ورابع هذه الأسس، هو أن نتعلم كيف نخطط ونعد للمستقبل عدته، وألا تصبح أفعالنا مجرد رد فعل لما هو آتٍ من الخارج، فنصبح بذلك ألعوبة في أيديه. وقد أمرنا ديننا الحنيف بذلك عندما يذكر القرآن الكريم: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...**﴾ [الأنفال: ٦٠]. وقد استخدم الغرب هذه الحكمة عندما أنشأ الاتحاد الأوربي بصورته الحالية، وهو الاتحاد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي بدأ بستة دول في روما عام ١٩٥٧، وسار في هذا المجال خطوة خطوة، إلى أن بلغ ما بلغه الآن، وبعضوية خمسة عشر دولة، وهو ما لمسناه أيضاً عندما استعد لحرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، وعندما يستعد حالياً لمواجهة العراق. هذا بعكس ما فعله العرب بشأن الدفاع العسكري المشترك، أو السوق العربية المشتركة، أو حروب خاضوها اتسمت بالفوضى والارتجال والتعثر.

وليست القوة العسكرية فقط هي لغة العصر الوحيدة. وإنما يفهم الغرب والعالم ويعي التقدم والتنمية الشاملة في كل المجالات، مثل المقدرة العلمية، والثقافة والتعليم، والكوادر القادرة على التعامل مع الآخرين، والإنتاج الجيد، والنظم السياسية الحاكمة التي تستطيع قيادة شعوبها بحكمة وديمقراطية، وغير ذلك من نواحي القوة العملية المؤثرة. وهي قوة شاملة معبرة عن معدننا وأصالتنا. وهي قوة مقروءة من الجميع، بعد أن أصبح العالم كتاباً مفتوحاً، وهي قوة لا يبنيها إلا أصحابها وبعقولهم وسواعدهم. وقد أمرنا المولى الكريم بذلك عندما ذكر ﴿**لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

ورابع هذه الأسس، هو أن ندرس قوى الغرب، وفكره ومنهجه، وأصوله ودوافعه، وأن تبنى دراستنا على أسس واقعية لا تهويل فيها ولا إقلال. وبذلك نستطيع أن نحدد خطواتنا إزاءه ونعرف كيف نخاطبه بأسلوب يفهمه، فالغرب يؤمن بالعلم والمصالح وبالماديات، ولا يقف كثيراً أمام العاطفة أو المحسنات اللفظية. أذكر بهذا الصدد نصيحة ذكرها لي المستر لي كوان يو، بأن سنغافورة الحديثة، عندما كان يرجو لحركة عدم الانحياز أن تنتشر في منطقته، إذ قال: "أرجو أن تأتوا بسلعكم الصناعية إلينا لتقف إلى جانب سلع الغرب، ففي ذلك خير وسيلة لإقناع أهل المنطقة بمبادئ حركة عدم الانحياز".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخامس هذه الأسس، هو أن ندرك أن تعاملنا مع الغرب ممتد لا يتوقف عند زمن محدد، فماضي التعامل معه طويل، وحاضره معقد مليء بالتراكمات وبالأخطاء، ومستقبله ممتد مادام احتياج أحدنا لأن يتعامل مع الآخر، وهو لاشك احتياج دائم. ولا يمكن النظر إلى هذا التعامل، في حدود مرحلة زمنية مرتبطة بعمر فرد، إنما يتعين أن ننظر إليه في حدود أجيال قادمة متعاقبة.ولا ينبغي أن ننظر لهذا التعامل، بأسلوب متقطع غير موصول، يتحكم فيه أو يوجهه لقاء أو مقال أو خطاب، ونظن بذلك أن التعامل قد غير مساره، بل هو عمل متصل مستمر لا يؤتى نتائجه إلا على المدى الطويل.

الهيئات المسئولة عن التعامل مع الغرب:

من واقع اتساع رقعة التعامل مع الغرب، فإن الجهات المسئولة عن التعامل معه متسعة وعريضة، ومتعددة الاختصاصات، ولا يمكن أن نعفي هيئة، ونلقي المسئولية على أخرى.

وتلك الهيئات تشمل حكومات عربية، ومنظمات إقليمية وبرلمانات أهلية، وأجهزة إعلامية وطنية وقومية، وكل هذه الهيئات لها مقابل ومناظر في الغرب تتحرك في تعاملها معنا وفق رؤاها ومصالحها. وفضلاً عن هذا، فهناك الشركات العربية والهيئات ذات المصالح الاقتصادية مع الغرب، وتستطيع أن تسمعه صوتها.

كيفية التعامل مع الغرب:

وبأخذ الأسس التي ذكرناها في الاعتبار، يتبين أن الحكومات العربية والمنظمات الإقليمية بالمنطقة، وأهمها الجامعة العربية، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، تتحرك في هذا الاتجاه بعقد اللقاءات والمؤتمرات فيما بينها. ونحن لا نرجو لها سوى المزيد من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التوفيق والتنسيق والتفاهم، والتغاضي عن الحزازات، ووضع مصالح الشعوب وقيمها في المقام الأول.

وللحكومات مسئولية مزدوجة في هذا الصدد، فهي المسئولة عن الاتصال بالحكومات الأخرى وبالهيئات الدولية، وهي المسئولة عن استنهاض الهمم بين شعوبها، وضبط إيقاع حركتها، حتى لا تتوتر الشعوب وتندفع في هوجائية أو أن تتراخى وتفرط في حقوقها. هذا من جهة، ومن جهة القطاع المدني والهيئات والمنظمات الأهلية، فإن عليها أيضاً التزام بهذا الصدد، في مجالاتها المتعددة. ففي اتصال الجامعات العربية، بنظرائها من الجامعات الغربية، ما يفيد ويعرف الغرب أن جامعاتنا تقف على نفس المستوى من التقدم العلمي. وفي حضور علمائنا وخبرائنا المؤتمرات العلمية الدولية، وتمثيلهم المشرف لدولهم، ما يقنع الآخرين بأن هؤلاء العلماء العرب لديهم ما يسهمون به في تقدم البشرية. وأن لديهم ما يدعو إلى احترامهم. وفي اتصال النقابات المهنية بمثيلاتها في الغرب في مجال تخصصهم، ما يضيف أيضاً عناصر إيجابية لعلاقاتنا مع الغرب. وغير ذلك الكثير مما يتعذر حصره، ما يمكن أن يسهم في إبراز وتحسين صورتنا، على أن يتم ذلك بجدية، وبلغة يفهمها الغرب.

ولا يمكن أن نغفل في هذا الصدد، دور المؤسسات الدينية في دولنا العربية، سواء منها المؤسسات الإسلامية أو المسيحية، كما حرصت تلك المؤسسات على الانتشار في الخارج، وذلك بإنشاء مراكز دينية ودور عبادة. وحرصت على إيفاد علماء ودعاة لها في الخارج. وحرصت على مد خيوط الاتصال بين الدول العربية وتلك المراكز. وكان لكثير من هذه المراكز آثار إيجابية في إظهار صورة صحيحة لعقيدتنا، بل وساعد كثير منها في أن يعتنق غربيون الإسلام. ومع ذلك فهناك بعض المثالب التي يجدر ذكرها بشأن هذا الأمر الدقيق الشائك. أولها أن بعض الدعاة المبعوثين لم يكونوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على مستوى المسئولية، من حيث الكفاءة أو الأداء ويتخذ بعضهم أسلوب الأداء الوظيفي قبل أن يتخذ أسلوب الرسالة. وأمر آخر أن بعض هؤلاء الدعاة لا يتقن لغة التخاطب مع الغرب، من حيث إتقان اللغات الأجنبية السائدة، أو من حيث معرفة ثقافة المخاطبين وأسلوب تقبلهم للأفكار. وهناك أمر ملاحظ أيضاً بشأن هذه المراكز الدينية، هو أنها تفتقد التنسيق فيما بينها، ويتحدث كل منها بلسان العاصمة العربية التي أوفدته، وتخلط بهذا ما بين الدين والسياسة. وقد لاحظت ذلك كثيراً عندما كنت سفيراً بالبرازيل في الثمانينيات، حيث كانت كل دولة عربية توفد مبعوثين من لديها أو تنشئ مراكز دينية، أو تمنح المنح المادية لجمعيات دينية محلية، وذلك دون تنسيق أو ترابط بين هذه الجهود. وكل هذه المثالب تؤدى إلى نتائج عكسية غير مطلوبة ولا مرجوة.

وفضلاً عما تقدم، فهناك قطاع هام وعريض في الغرب، ينبغي أن ندعم جهوده وناصره. وهو قطاع الجاليات العربية والإسلامية المقيمة بالغرب. وهؤلاء يبلغ عددهم الملايين، ويحاولون أن يجمعوا صفوفهم، ليحافظوا على هويتهم، وهوية أبنائهم من بعدهم، ويعملون على ألا ينصهروا في ثقافات الغرب، ويقف هؤلاء على خط المواجهة الأول مع الغرب، حيث يتعرض بعضهم حالياً لمضايقات من متطرفين ومعادين لهم، ويعيشون وأسرهم داخل جو إعلامي غير مواتي، يحتاج منهم إلى تماسك وصلابة قوية لكي يحافظوا على قيمهم وعقائدهم. وهم بذلك يحتاجون منا في الدول العربية والإسلامية إلى الدعم والمؤازرة. وقد أنشأ هؤلاء المهاجرون جمعيات كثيرة لهم في الغرب، ومنها مؤسسة (العناية CAIR) في الولايات المتحدة وغيرها من المؤسسات المنتشرة في أوروبا، ومن المناسب أن ننشئ في العالم العربي قواعد بيانات خاصة بهم، وأن ندرس سوياً أساليب الاتصال المنسق المنظم بهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وللاتصال بالغرب صور شتى، تطرقنا إلى ذكر بعضها، والزيارات والبعثات وتبادل الرسائل، وكافة وسائل الاتصال الإعلامية الأخرى. وقد يسرت التقنيات الحديثة هذه الوسائل بصورة كبيرة، منها الاتصالات الإلكترونية، ومنها إنشاء المواقع على الإنترنت ومنها توجيه المحطات الفضائية إلى الغرب بلغته، ومنها وسائل الاتصال الأخرى. ولاشك أن مثل هذه الاتصالات، من خلال كل ما تقدم ذكره من مجالات، تستطيع أن تؤتى ثمارها، إذا ما أحسن استخدامها، وإذا ما اتصفت بالجدية والاستمرار.

د. عبد الرحمن النقيب.

شكراً لسعادة السفير على هذه الجولة الكبيرة، التي تناولت عالمنا العربي بدوله الاثنين والعشرين دولة، وسكانه الخمسمائة مليون نسمة، والغرب بدوله الشرقية والغربية، ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وتوقفه أمامها، وكيف استطاعت أن تصل إلى الذروة من الناحية الاقتصادية والعسكرية والحضارية، وأن تصبح الآن هي القطب الأكبر كما هو ظاهر للأعين.

أيضاً كانت هناك إشارات إلى تغيرات كبيرة حدثت خلال الثلاث عقود الأخيرة:

- حرب أكتوبر وتداعياتها.
- حرب أفغانستان وآثارها.
- انهيار الاتحاد السوفيتي وما أعقبه من نتائج.
- توحيد شطري ألمانيا.
- انزلاق صدام حسين في حرب الخليج الثانية.

أيضاً ما أحاط بإنشاء إسرائيل، وما تبع ذلك من توتر في العلاقات بين العرب و الغرب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضاً إشارة إلى أننا الآن أمام محاولة علمية لتغيير العقلية العربية الإسلامية لصالح القيم والمبادئ والفكر الغربي.

ثم خلص سعادة السفير إلى أنه مهما كانت القوة التي نواجهها، ومهما كانت الخطط والقدرات والإمكانيات؛ فما زالت أمامنا طريق لمواجهة كل ذلك من خلال حكومات تؤمن بشعوبها، ومنظمات إقليمية تستطيع أن تدعم نشاطنا وجهدنا، وقطاعات مدنية وجاليات عربية وإسلامية. ولعل الذي يخطر على البال، كيف أن الغرب وعلى رأسه أمريكا بعد حروب طوال يصلون إلى هذا التوحد، وعالمنا العربي والإسلامي بما فيه من أمور تجمع ولا تفرق ما زال يفتقد تلك الإرادة وتلك القيادة والجماهير التي توحد جهدها لمواجهة تلك التحديات.

الموضوع حساس وخطير، والمحاضر استطاع أن يكثف المعلومات ويطعمها كما توقعنا بالخبرات، فكانت هذه المحاضرة القيمة ونترك الآن الفرصة للأسئلة والتعقيبات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعقيبات والأسئلة

أولاً: الأسئلة:

السؤال الأول:

مهندس/ محمد بهاء عبد الودود.

من الذي يقوم بإعادة ترتيب البيت من الداخل على النحو الذي بينتموه، وكيف يتم ذلك، وما هي الأولويات، وكيف يتم تصحيح المفاهيم الدينية؟

السفير مخلص جبة

ج: هذا أمر كبير، ولا أستطيع أن أساهم فيه بمفردي دون مشاركة كافة قطاعات الأمة في محاولة تغيير المفاهيم السائدة، وكذلك يحتاج الأمر إلى جهود عدد كبير من المتخصصين في العلوم السياسية والاقتصادية والدينية، والمهم تجميع هذه الأفكار وتنسيقها في التعامل مع الغرب، حيث يتحرك هو من خطة استراتيجية وهدف محدد مسبق التعيين.

السؤال الثاني:

ما هي الطريقة الجيدة لكيفية التواصل مع الجاليات الإسلامية بالخارج؟

ج: الاتصال بهم سهل وميسر عن طريق شبكة الإنترنت، والدخول على المواقع الإسلامية فيها مثل CAIR وغيرها. وهذه المنظمات في حاجة ماسة للتواصل معها من قبل المنطقة العربية والإسلامية. فعلى مستوى المجتمع الأمريكي الذي يتكون من مجموعة من الجاليات المختلفة الهوية والطبائع، ولذا فكل جالية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تتمنى أن يكون الوطن الأم دائماً في صورة قوية لدعم هذه الجالية وقضاياها داخل المجتمع الأمريكي.

تعقيبات:

المهندس: سيف الشربيني:

نشكر سعادة السفير على هذا العرض التاريخي الشامل، وإن كانت في معظمها معلومات معروفة لدى الجميع، والمفترض أن عنوان المحاضرة هو كيف نتعامل مع الغرب، وكنت أود أن معظم المحاضرة يوجه إلى هذا الموضوع و لم تكن المحاضرة كذلك. فلو ركز سعادة السفير الجهد في تفاصيل كيفية التعامل مع الغرب لكان ذلك أجدى وأنفع. لكن أن نردد كل ما يقوله الغرب ونغفل ما يجب علينا فعله فسنظل كما نحن.

الأمر الثاني: أن سعادة السفير ذكر فيما ذكر أنه في حديث له مع مسئول أمريكي حول سياسة اليهود في فلسطين وأنهم اغتصبوا الأرض من أصحابها، لم يستغرب المسئول الأمريكي ذلك وقال أنهم فعلوا مثلما فعلنا نحن. فهل بحكم موقع سعادة السفير ومنصبه، هل نقلتم مثل تلك الأفكار والسياسات إلى القيادة الحاكمة في الدولة لأخذها في الاعتبار عند التعامل مع الغرب.

لي تعليق عام إنكم ذكرتم أن حرية التجارة هي من أهداف منظمة التجارة العالمية، وأنا أرى وأظنك تعلم أكثر مني أن هذا هدف كاذب، والعكس تماماً هو الصحيح وهو سيطرة أمريكا على العالم. وأيضاً ذكرتم فيما ذكرتم حول الدولة العثمانية، أنه الاحتلال العثماني للمنطقة، وأظن أن تسميته بذلك به كثير من التجاوز، واعتقد أن أهل التاريخ أجدر بمعالجة الموضوع أكثر مني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د. رفعت العوضي:

أرجو الله أن يجزى سعادة السفير خيراً لما احتوت هذه المحاضرة من معلومات قيمة.

سعادة السفير وأنت بخبرتك الطويلة، ذكرت أن ما يشغل أمريكا هو تأمين مصادر البترول، وإني أرى أن هذه المقولة إنما هي تسطيح للأمور، لأن ما يشغل أمريكا فعلاً هو الإسلام والمسلمين.

وسؤالي هو، هل يمكن تخيل نوعًا من التحالف الروسي الأوربي في مقابل النفوذ الأمريكي؟ وهل يمكن توظيف ذلك لمصلحة المسلمين؟

وفي ظل هذا الصدام الواضح مع أمريكا، هل يمكننا على المستوى العربي والإسلامي إقامة علاقات جيدة وقوية مع قوى أخرى غير أمريكا مثل الصين وغيرها؟

وهل نحن مقبلون على مرحلة جديدة من الاستعمار الأمريكي للمنطقة؟

وهل تتوقع أن تدير أمريكا ظهرها للقيم التي قامت عليها، من حريات فردية وغيرها لمحاربة الوجود الإسلامي والجاليات المسلمة بها؟

أ. عماد حسين – باحث تاريخي:

معذرة سعادة السفير أن اختلف مع بعض ما أوردته من معلومات عن التاريخ الأمريكي، حيث ذكرت بأنه اختار العزلة منذ مبدأ مونرو عام ١٨٢٣، وهذا المبدأ برغم صحته وتطبيق أمريكا له لفترة زمنية طويلة، ولكن السياسة الأمريكية لم تلتزم به التزاما حرفياً طوال تاريخها. فقد تدخلت بالفعل في مناطق كثيرة في الشرق الأوسط في العقد الثاني من القرن العشرين حتى تستطيع أن تحصل على البترول. وكذلك مبادئ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولسن التي كانت تمثل حجر الزاوية لكثير من الحركات الوطنية وغيرها، وكانت تمثل تدخلاً أمريكياً على مستوى العالم.

كما أن هناك تأكيدات تاريخية تؤكد أن جزءًا من الأسطول الأمريكي قد اشترك في حصار السواحل المصرية أثناء مواجهة أحمد عرابي للإنجليز في ذلك الوقت، فضلاً عن التدخل الأمريكي في اليابان في منتصف القرن التاسع عشر. هذه اللمحات ليست حصراً للتدخلات الأمريكية على المستوى الدولي، ولكنها تؤكد أن السياسة الأمريكية، لم تكن سياسة عزلة عن العالم القديم بل كانت تنحو إلى التدخل منذ تاريخها. ويؤكد كل ذلك بند رقم (١) في الدستور الأمريكي الذي يؤكد أن النظام الأمريكي يجب أن يحكم العالم.

النقطة الثانية: حول التيارات الإسلامية وأن العنف الذي تغلب في الجزائر. كما أعتقد أن الوقائع التي نعرفها، لم تكن متعلقة بالمجاهدين العرب الأفغان بشكل أو بآخر، ولكنه عنف في مواجهة حالة معينة، فكان عنفاً داخلياً.

النقطة الأخيرة: موقف الغرب من منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي ليس بجديد ويظهر جلياً في وثيقة كارل بانمن، وهذه الوثيقة تولدت بعد مؤتمر استمر ثلاث سنوات بين الدول الاستعمارية الكبرى من ١٩٠٤ إلى ١٩٠٧، وانتهى بوثيقة أن الحضارة الغربية وصلت إلى مرحلة الشيخوخة، وأنه لابد لهذه الحضارة من وارث، وأن المنطقة المؤهلة لهذا الأمر هي منطقة شمال إفريقيا وشرق البحر المتوسط، ولكن هذه المنطقة تتسم بالعداء لحضارة الرجل الأبيض، فلابد من العمل للحيلولة بينها وبين أن تصل إلى هذا المستوى الحضاري حتى لا تكون عدواً لحضارة الرجل الأبيض، ولذا يجب الحفاظ على تخلفها وتشتتها والفصل بين الشمال الإفريقي وشرق البحر المتوسط بعازل يمنع التحامها وهو إسرائيل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ. محمد سيد حسان – مدرس

المنطقة العربية والإسلامية كانت مهداً للحضارات، كما كانت مهداً للأديان السماوية في العالم. العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي وخصوصاً المنطقة العربية كانت تعتبر علاقة مختلفة جداً. المنطقة العربية قدمت في إطار تاريخها المبادئ والقيم والحضارة الإنسانية للغرب، في حين أن الغرب على مدى تاريخه هو تاريخ إرهاب وابتزاز للمنطقة العربية والإسلامية وللقارة الإفريقية والآسيوية. وللأسف الشديد أن الدول العربية والإسلامية لا تستطيع أن تحصل على حقوقها الثابتة. لكن الغرب دائماً يوجه لنا اتهامات وشبه وتشكيك في ذاتنا وهويتنا وفي أعمالنا، في حين أن حقوقنا العربية دائماً مهضومة.

وأحاول فيما يلي أن أبين ذلك، فعلى مدى التاريخ ومنذ بدء الحروب الصليبية ومروراً بالغزو الاستعماري للدول العربية والإسلامية، ثم بعد ذلك الهيمنة الاقتصادية، والسياسية من خلال الأمم المتحدة، ومن خلال حق الفيتو، يؤكد ذلك أن تاريخ الغرب إرهاب وابتزاز وللأسف الشديد فالأنظمة العربية والحكومات العربية والإسلامية لا تستطيع أن تحصل على حقوقها المشروعة، فنحن ضحايا الغرب في تاريخه الإرهابي وفي اتهامه لنا بالإرهاب. وسؤالي هو متى نستطيع الحصول على حقوقنا العربية؟

د. سليمان الخطيب – كلية دار العلوم

تحية خاصة وكل تقدير لهذه المحاضرة القيمة التي حفلت بكثير من القضايا والمحاور والإشكالات. وأود الإشارة إلى نقطة محددة، وهي كيفية التعامل مع الغرب، هذه القضية تتعلق بالمؤسسات الثقافية، والخطاب الثقافي الكائن المنتشر في الساحة العربية والإسلامية. فنحن نتحدث عن العولمة، ومؤامرات الغرب، ونتحدث عن الاختراق الثقافي...إلخ. كنت أود في هذه القضية إبراز الدور الذي تقوم به المؤسسات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثقافية في المنطقة العربية، وخاصة أن الكثيرين ممن يسيطرون على هذه المؤسسات، يسيطر على توجهاتهم وخطاباتهم البعد التغريبي والعلماني والحداثي في التعامل مع الظاهرة الغربية، ومع الثقافة العربية والإسلامية، فالمتأمل لمعظم المؤسسات العربية الرسمية نجد أن الخطاب التغريبي يسيطر على معظم العاملين فيها بكل أسف. كما أن هناك قطاعاً إعلامياً وصحفياً وثقافياً... إلخ يسيطر عليه الترويج لثقافة الغرب، ولفكر الغرب و لحداثة الغرب. فلو أخذنا مثال الفضائيات، نجد أن هناك هجمة شرسة ومحاولة إحياء قضية تحرير المرأة، والمساواة بين الجنسين، والطعن في كثير من الثوابت، وعدم تثبيت دعائم الشريعة، والتشكيك في إمكانية أن يقود الإسلام حركة الحضارة من جديد.. الخ. هذا القطاع في الحقيقة نحن في حاجة ماسة إلى أن نقف حياله بنوع من الوعي والمواجهة، لأنه بالفعل يؤدي إلى زعزعة كبيرة، وخاصة أنه يسيطر على قطاع كبير من المؤسسات العلمية والثقافية.

د. منى أبو الفضل-كلية الاقتصاد والعلوم السياسية

يشرفني حضوري محاضرة سعادة السفير، والإسلام والغرب موضوع الساعة ومعالجة هذا الموضوع له مستويات شتى. كيف يمكن لثقافتنا الدبلوماسية الفكرية السياسية أن تستفيد من الخبرات التي توجد في مجتمعاتنا من نواحي التدريس، والفكر، والسياسة، والشرع، والدراسات الحضارية، وأنتم تمثلون وتحملون عبء التعامل مع العالم الخارجي، كيف يمكن أن أقف وأراجع وأجري عملية استعادة وعي واستعادة هذه الخبرة في المجال الدبلوماسي ومحاولة المشاركة مع غيري لبلورتها وصقلها. فنحن مسئولون عن تقديم خبراتنا السابقة للأجيال القادمة، لذا أقترح تكوين ورش عمل من تخصصات مختلفة ومن مواقعنا المختلفة، وعقد لقاءات دورية ومؤتمر سنوي ليكون الهدف الأساسي من تلك الجهود هو القيام بعمليات مراجعات وبناء للوعي على مستوى المثقفين لتعميق وعينا عن علاقتنا بالغرب وتعاملنا معه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الوضع الحالي يفرض علينا أن نتخذ مواقف جادة وعملية لتصحيح المفاهيم والأوضاع على مستويات جماعية وليس على مستوى مواقف فردية.

أ. مدحت ماهر – باحث

الحقيقة تعليقي ينتهي ممن انتهت منه د. منى أبو الفضل، فنحن حينما نتعامل مع الغرب من الممكن أن نعد كثير من القطاعات في هذا المجال. فهي تبدأ من الحكومات وتنتهي بالقطاع المدني وكأن كل هذه القطاعات تجتمع على مبدأ واحد.

في التعامل مع هذا الغرب أخذنا مسارين: المسار الأول وهو إعداد الداخل كي يكون مؤهلاً للتعامل الإيجابي مع الغرب، وفي هذا أتينا بالأمور من جذورها حتى كامل فروعها. أخذنا إعدادنا من قبل الأصول والثقة بأنفسنا، والتمسك بديننا، وبناء اقتصاد يكافئ وعندما أتينا للتعامل مع الغرب اقتصرنا على الجانب الثقافي، وأين التعامل الاقتصادي مع الآخر، فنحن نتكلم عن التعارف على أنه التعرف إلى الغرب وليس التعارف مع الغرب. ماذا إذ لم يرد الغرب وكثير من قطاعاته أن يتعارف معنا أو إلينا.

قد يكون في المجال الاقتصادي تعاون وحوار اقتصادي، مثل منظمة التجارة العالمية، ولكن لماذا لا يكون أيضاً هناك وسيلة الضغط والإنذار والتهديد ولو من بعيد. وهناك الوسيلة العسكرية، لابد أن نعتمد على مساندة المنظمات الجهادية في كشمير وفلسطين والشيشان وأفغانستان. لابد أن تكون لدينا وسائل متعددة، بحيث لا يقتصر حوارنا مع الآخر على الحوار الحضاري أو الثقافي فقط.

رد السفير / مخلص جبه على التعقيبات

سوف أرد باختصار شديد على كل ما قيل أنا في الحقيقة تطرقت إلى التعامل الاقتصادي في العلاقة مع الغرب. في الواقع أن الغرب يحاول تشكيل المنطقة تبعاً لهواه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذلك لحالة الضعف والهوان التي تمر بها المنطقة. لا نستطيع أن نقول أننا لسنا خارج نطاق إعادة البناء والتشكيل، لكن هذا البناء يجب أن يقوم على أساس من عقيدتنا وموروثنا الديني والحضاري. وهذا لا يعني الانفصال عن العالم الآخر وذلك لتشابك العلاقات وتداخلها. ونحن نتعرض ونستخدم ثقافتهم وناتج التكنولوجيا الخاصة بهم، ولذا يجب أن يكون لدينا ثقة بالنفس وبقوة منظومتنا الحضارية والإيمان بها في كيفية إعادة البناء والتشكيل.

أشار أحد المعقبين إلى الناحية الاقتصادية والمنظمات الاقتصادية التي انضمت إليها المنطقة دون وعي أو دراسة للحقوق والواجبات. ويجب الحث على أهمية تكوين مجموعات مختلفة من الكتل الفكرية والعلمية لتصحيح الصورة لدى الغرب بمكوناته المختلفة.

كذلك يجب علينا استغلال حجم الطلاب الوافدين في المنطقة العربية القادمين من دول إفريقية وآسيوية، والعمل على التواصل معهم حتى بعد رجوعهم إلى أوطانهم، فهم بمثابة مرتكزات قوة للمنطقة العربية والإسلامية في مراكزهم بأوطانهم.

ويجب في هذا الإطار أن نعمل على إصلاح الذات والداخل أولاً. فكيف لنا أن ننافس الغرب والأمم الأخرى ومعدل عمل الموظف في أوطاننا لا يتعدى ٢٧ دقيقة في اليوم. كيف لنا أن ننافس اقتصادياً وجميع ما نستخدمه يأتينا من الخارج حتى سجادة الصلاة.

قد اختلف مع الدكتور رفعت العوضي في أن الهجمة الأمريكية على المنطقة في جزء كبير منها لتأمين مصادر البترول والسيطرة عليها. وهذا يؤدي بها إلى السيطرة أيضاً على حجم الإنتاج وتوزيعه في العالم مما يؤدى بها إلى تكوين حلم حياتها الإمبراطورية الأمريكية. وبعض الدول الأوروبية مثل ألمانيا وفرنسا تعي ذلك، ولذا تعارض الحرب ليس حباً في صدام ولا العرب بل في إدراكها للمخطط الأمريكي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com